(٢)

خصومتان

ثارت(١) فى مجلس النواب خصومتان عنيفتان فى هذا الأسبوع ، ذهبت إحداهما لغوا كأن لم تكن ، وكادت الأخرى تفسد الائتلاف بين حزبى الحكومة ، لولا أن الذى بيده عقدة هذا الائتلاف لم يأذن بعد بالطلاق بين الحزبين الشقيقين ، كما تسميهما بعض الصحف .

فأما الخصومة العنيفة التى ذهبت لغوا كأن لم تكن فهى التى أثيرت حول سياسة التعليم . فقد خطب نواب ، ورد عليهم نواب آخرون ، وتكلم وزير المعارف ، وخيل إلى الذين قرأوا أولئك وهؤلاء أن تغييرا عظيم الخطر سينال سياسة التعليم فى أصولها وفروعها ، ثم سكنت العاصفة وصفا الجو ، وابتسمت السماء ، ومضت سياسة التعليم كما تريد وزارة المعارف أن تمضى ، إن كانت وزارة المعارف تعرف وجها تمضى فيه بسياسة التعليم .

والواقع أن وزارة المعارف فى هذا العهد السعيد قد اضطربت بين سياستين : إحداهما سياسة الوزير السابق(٢) ، وكانت تعتمد على التجديد والرقى ، وكانت تعتمد أيضاً على تعرف العلل التى يشكو منها التعليم فى

---

(١) كوكب الشرق ١٥/٣/١٩٣٣ عدد ٢٣٢٩

(٢) الوزير السابق هو مراد سيد أحمد ، وكان وزيراً للمعارف وقد أخذت له صورة فى شهر رمضان والسيجارة فى فمه ، فأبعد من منصبه ، وعين وزيرا لمصر فى بلجيكا .

مصر ، لذلك ألف الوزير السابق لجنة لسياسة التعليم ، وألفت هذه اللجنة لجانا فرعية ، وكتبت مذكرات ، واشتغلت اللجان ، وكانت مناقشات ، وخيل إلى الناس يومئذ أن أمور التعليم ستنقلب رأسا على عقب ، وأن مصر ستجد آخر الأمر لنفسها سياسة تعليمية معقولة ملائمة لحاجاتها وآمالها ، ولكن وزير التعليم السابق ذهب إلى بروكسل ، وخلفه الوزير القائم . فذهبت إلى بروكسل أيضاً سياسة التعليم الأولى ، وقام التقليد مقام التجديد ، فأقفلت معاهد ، وألغيت أعمال ، ونامت اللجنة الأصلية ، وتفرقت اللجان الفرعية ، وقام الفرد مقام الجماعة . واستغنى وزير المعارف(١) بنفسه ووكيله عن هذه اللجنة التى لو أمهلت لقلبت سياسة التعليم فى مصر رأسا على عقب . وأجمل ما فى هذا الأمر ، وأدعاه إلى الابتسام ، بل إلى الضحك أن جماعة من النواب كانوا يطالبون أثناء هذه المناقشة فى سياسة التعليم بتأليف لجنة لتقرير سياسة للتعليم كأن هذه اللجنة لم تكن ألفت من قبل ، ولم تكن قد بدأت أعمالها ، وكأن النواب لم يسمعوا بها ، ولم يذكر الوزير هذه اللجنة ، ولا أشار إليها ، وإنما أجاب بأن الوزارة تستطيع أن تمضى فى سياسة التعليم الأولى ، وتضييق التعليم الثانوى والعالى. وقبل النواب هذا الكلام ، وانتهت الخصومة بسلام كما تنتهى الأحلام .

أما الخصومة الثانية فقد كانت محرجة وممضة ؛ وكانت خطرة ، أدارت الرءوس ، وأذهلت النفوس ، وأقضت المضاجع ، وأضاعت يوما كاملا على كثير من النواب ورجال الأحزاب . وليس من شك فى أن موضوعها كان أجل خطرا ، وأعمق أثرا ، وأمس بحياة الشعب الآن وغدا من سياسة التعليم ، وهو إعانة الأوبرا الملكية : أتمنح الحكومة أم لا تمنح إعانة للممثلين والممثلات ، والمغنين والمغنيات ، والراقصين والراقصات . والظريف الطريف أن الدفاع عن منح هذه الإعانة لهؤلاء الأجانب الذين يفدون علينا كل يوم لتسلية الأجانب الذين يقيمون بيننا ،

---

(١) هو محمد حلمى عيسى باشا .

قد نهض به وزير التقاليد الذى أقفل معهد التمثيل وألغى الرقص وحارب اختلاط الجنسين فى المدارس . نهض وزير التقاليد فدافع دفاع الأبطال عن الفن والجمال ، يصول ويجول ، ثم يسكت ويقول ، ثم يرفع يده فى الهواء ويهوى بها على المائدة ، والنواب ينظرون ويسمعون ويعجبون، ومنهم من يدافع ويمانع ، ومنهم من يؤيد ويسرف فى التأييد ، والوزير ثابت فى موقفه ، مصمم على أن يشهد الأجانب فى مصر كل عام على حساب الدولة تمثيل الممثلين والممثلات ، والراقصين والراقصات ، ويسمعوا غناء المغنين والمغنيات .

ومع أن الخصومة بلغت أقصاها ، وكان حزب الشعب عدو التمثيل والرقص والغناء ، وكان حزب الاتحاد صديق هذه الفنون الجميلة ، فقد انتهى الأمر بفوز وزير التقاليد ، وانتصار حزب الاتحاد . وسيدفع المصريون طوعا أو كرها هذه الآلاف ليسلوا الأجانب ويعينوا جماعة من أهل الفن الأوربيين على الحياة ، ويمكنوهم من السياحة والاستمتاع بما فى مصر من صفو السماء فى فصل الشتاء ، ومن اعتدال الجو وجمال النيل .

وماكنت أظن أن سياسة التعليم تثير عاصفة لا تلبث أن تهدأ ، وأن دار الأوبرا تثير عاصفة تتجاوز مجلس النواب إلى أندية الأحزاب ، وإلى دور الوزراء القائمين والمستقيلين ، وتزعج حتى رئيس الوزراء الذى هو فى أشد الحاجة إلى الراحة وهدوء البال ، ولكن الله يريد أن تنعكس الأشياء دائما فى مصر ، فيهون التعليم كله ، وتعز الأوبرا ، ويلقى وزير التقاليد فى الدفاع عن التجديد (وأى تجديد) ما يطاق وما لا يطاق من خصومة الشعبيين .

انتهى الأمر فى مجلس النواب إلى ما أراد الوزير ، وانتهى الأمر خارج المجلس إلى صفو وسلام بعد جفاء وخصام ، ولكن من يدرى لعل مسألة أخرى أشد خطرا من سياسة التعليم تمر غدا ، أو بعد غد مرور النسيم ، ولعل مسألة أخرى أقل شأنا من مسألة الأوبرا تحطم الائتلاف

حطما ، وتمضى بالشعبيين إلى اليمين حيث المحافظة على السنن الموروثة والعادات والتقاليد ، وبالاتحاديين إلى الشمال ، وإلى أقصى الشمال حيث الغلو فى التجديد والإغراق فى مسايرة العصر الذى نعيش فيه . وما دام الليل يمر ، والنهار يكر ، فلن يثبت لهما شىء حتى ائتلاف الاتحاديين والشعبيين ، وحتى دفاع وزير التقاليد عن السنن والعادات .

فلننتظر فقد رأينا إلى الآن عجبا ، وما أرى إلا أننا سنشهد منذ الآن ما هو أدعى إلى العجب ، وأبلغ فى الغرابة ، ولكن صدقنى أنك تخطىء كل الخطأ إذا نظرت إلى حياتنا العامة نظرة الجد .